أبحاث المؤتمر العلمي الدولي الثاني/ نقابة الاكاديميين العراقيين/ مركز التطوير الاستراتيجي الأكاديمي وجامعة صلاح الدين/ كلية التربية الاساس/ اربيل للمدة ١٠-١١ شباط ٢٠٢٠

جامعة واسط
مجلة كلية التربية

السيميائية بين التنظير الغربي والجذور العربية

م.د. سهام حسن خضر
الجامعة المستنصرية / كلية طب الأسنان

ملخص بحث

تسعى السيميائية الى فكرة الاهتمام بالخطاب الادبي من منطلق كونه وحدة كلامية مخصصة لأغراض تداولية واتصالية معينة تفرضها جملة من العمليات الناشئة عن التفاعل بين مستويات اللغة ترتبط من خلالها الوظائف اللغوية الاستعمالية مع فعالية الخطاب وهذا ما فهمناه من التأويل السيميائي للخطاب الادبي والتي جاءت على يد عدد من المنظرين الغرب امثال بورس وموريس وسوسير وغيرهم ممن عمل على السيميائية وعلم العلامات والسؤال الذي يطرحه البحث ان السيميائية العربية قد سبقت ما ذكرنا من المنظرين اذ ان علماء العرب الذين حاولوا عبر عصور مختلفة ايجاد نظرية تحليل الخطاب الادبي وعلم العلامات وبالعودة الى مصطلح (السيمياء) نجد ان له جذور في الموروث العربي المقدس والادبي الا ان علم السيمياء واللسانيات بشكل عام قد وردت للعرب من الغرب باتم الجهوزية وما كان من النقاد العرب الا ان يتلقفوا النظرية ويطبقونها دون تمحيص او تدقيق او مقاربتها للموروث العربي والبحث هنا يطرح فكرة ان السيميائية وعلم اللسانيات هي بالاساس من ابتكارات العرب التي لم تظهر بشكل جلي من خلال تحليل الخطاب الادبي لما اصاب العرب من تردي وتخلف في كافة المجالات ومنها التنظيرات الادبية بسبب تردي الاوضاع السياسية الذي انعكس سلبا على مجمل التفكير العربي والوقوف عند فكرة (انتظار المبتكر الغربي) نظرية او منهجا وتطبيقه على المنتج الادبي الابداعي الخاص بالعرب سواء توافق ذلك ام لم يتوافق مع روح المتون العربي الابداعية من هنا فان البحث يهتم بالتجذير التاريخي لظهور السيميائية وجهود العلماء الغرب في بلورة مناهجها وتلقف النقاد العرب لهذه النظرية باعتبار انها من النظريات التي تستطيع ان تحلل الخطاب الادبي كمنطوق يحمل رسالة معينة ينوي ايصالها الى المتلقي وعليه فان البحث التاريخي لظهور السيميائية الغربية وايجاد مقاربة موضوعية وبحث معمق في جذور السيميائية في التنظيرات العربية التي سبقت تنظيرات علماء الغرب ، فضلا عن ان البحث سيركز على وضع قاعدة للبحث العلمي المعمق حول دور العرب في بناء اول للسيميائية وتلكؤ واضح في اخراجها كنظرية نقدية متكاملة تسعى الى تحليل الخطاب والاهتمام بالمحافظة على بنية النص العربي وخصوصيته ومدى تطابق المنهج السيميائي مع تحليل المتن الابداعي العربي .

اسئلة البحث :

يهتم البحث باثارة التساؤلات التالية:

١- هل ان للعرب جهودا في بناء النظرية السيميائية؟ وكيف استدل المنظرين الغرب الى ايجاد علاقة بين الخطاب كبنية والخطاب كسياق من خلال السيميائية التداولية التي تهتم بتاويل ذلك الخطاب؟

٢- كيف تلقف النقاد العرب السيميائية وما الذي قدمته السيميائية كاسهامة في تحليل النص الادبي العربي ؟

Research summary

Semiotics seeks to consider the interest in literary discourse in the sense that it is a unit of speech intended for specific deliberative and communication purposes imposed by a number of processes arising from the interaction between the levels of language through which the linguistic functions are associated with the effectiveness of the discourse and this is what we understood from the semiotic interpretation of the literary discourse that came at the hands of a number of Western theorists such as Burris, Morris, Saussure, and others who worked on semiotics, the science of signs, and the question posed by the research that Arab semiotics had preceded what we mentioned from the theorists, since Arab scholars who tried through different eras have tried to find the theory of discourse analysis except In me and the science of signs, and by returning to the term (semiotics) we find that it has roots in the sacred and literary Arab heritage, but the science of linguistics and linguistics in general has been received by Arabs from the West with complete readiness and what was not from Arab critics except to seize the theory and apply it without scrutiny or scrutiny or its approach to the Arab heritage The research here raises the idea that semiotics and linguistics are essentially one of the Arab innovations that did not appear clearly through an analysis of the literary discourse, because of the deterioration and backwardness of the Arabs in all fields, including literary theories, due to the deterioration of political conditions, which reflected negatively on the overall Arab thinking and longing When the idea of (waiting for the western innovator) is a theory or method and applying it to the creative literary product of the Arabs, whether it is compatible or not with the spirit of the

creative Arab texts from here, the research is concerned with the historical rooting of the emergence of semiotics and the efforts of Western scholars in crystallizing its curricula and the Arab critics gather this theory as it Among the theories that can analyze the literary discourse as an operative that carries a certain message that it intends to deliver to the recipient, and accordingly, the historical research of the emergence of Western semiotics, the creation of an objective approach and an in-depth research into the roots of semiotics in the Arab theories that preceded the theories of Western scholars, In addition to that, the research will focus on setting a base for in-depth scientific research on the role of Arabs in the first construction of semiotics and a clear delay in its output as an integrated critical theory that seeks to analyze discourse and interest in preserving the structure and character of the Arabic text and the extent to which the semiotic approach corresponds to the analysis of the Arab creative body.

Research questions :

The research is interested in raising the following questions:

- 1Do Arabs have efforts to build semiotic theory? How did the theorists infer the West to find a relationship between discourse as a structure and discourse as a context through deliberative semiotics that are concerned with the interpretation of that discourse?

- 2How did Arab critics capture semiotics and what did semiotics offer as a contribution to analyzing the Arab literary text?

المبحث الاول

موضع ورود السيمياء في القرآن الكريم ومفهوم السيمياء

توطئة :

سيمائية بيرس علم يهتم بالنقد والتحليل الفني والادبي، ثم تفرع هذا العلم أو هذا المنهج إلى فروع معرفية متنوعة: سيمياء اللغة، وسيمياء الأدب، هذه الأخيرة بدورها تفرعت إلى سيميائية وسيميائية للسرد، وكان من أشهر رواد السيميائية السردية جوليان ألجيرداس إلى جانبه فرانسوا راستيه وجوزيف كورتيس وجان رموقة كل هؤلاء ضمن المشهد التنظيري العربي لا جنسية عربية بينهم مطلقا، بل أن

نقاد العرب سارعوا إلى تلقف النظرية بغثها وسمينها ، ومحاولة تمثلها عن طريق الترجمة، ثم تحويلها إلى أدوات إجرائية لمقاربة النصوص السردية العربية، ومن ابرز هؤلاء النقاد محمد الناصر العجيمي، سعيد يقطين، سعيد بن كراد، حميد لحميداني ، هذا الأخير الذي ذاع صيته في الجزائر، لأنه يعد في حقل الدراسات النقدية العربية ترجمة وممارسة فيما زعم الغامدي أن لحميدان اهتم بالتنظير وأنا أشك في ذلك فأين موضع التنظير وهو يروج للنظرية بأنها الحل الامثل لتأويل الادب .

من هنا نطرح السؤال التالي : هل للسيمياء جذور في ثقافة العرب ؟ واذا كان لها ماهي جهود العرب في وضع النظرية أو نقدها وتحليلها ؟ والاجابة تتطلب البحث في الموروث العربي عن أسس السيمياء مفردات وتنظير وبيان الأطر العامة لها ضمن المتون الإبداعية العربية ، وأول ما نطالع ورود المصطلح في القرآن الكريم فما حجم بعده أو قربه من سيمياء الغرب ؟

آية السِّيماء

قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا. وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ. ذَٰلِكَ خَيْرٌ. ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ. يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا. إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف:٢٦).

السيمياء، المفهوم المعنى، والتاريخ

يمكنا القول ان الوقوع على مفهوم علم السيمياء يتطلب منا التوفر على تعريفات لهذا العلم وملاحقة جدية لتاريخ ظهوره ونشأته. خاصة اذا ما اتفقنا على السطوح المهيمن للعلامة ((ان وجود العلامات مرتبط بوجود الحضارة، بالمعنى العادي للكلمة"[١] وهذا الامر يبدو اكثر ظهوراً ونحن نحاول تتبع وتحديد الرسائل الدلالية التي يطلقها نص من المسرح الشعري العراقي المعاصر فنحن اذن بمواجهة امر محدد يجعلنا نبحث عن ((المتصورات السيميائية للجماليات التي بدأت تتبلور في كثير من الابحاث، ولا سيما المتعلقة بجماليات الخطاب البصري سواء أتعلق بالصورة الفوتوغرافية ام بفنون العروض المسرحية وما اتصل بها من اضاءة وسيتوغرافية واخراج وديكور وما الى ذلك مما يخرج عن فضاء العلامات اللسانية مثل السينما والفنون التشكيلية والعمارة ليتخذ تعبيراً ايقوناً تارة ورمزياً تارة اخرى)) .[٢]

وبناءاً على هذه الحقيقة نجد من الضروري التطرق الى المعنى اللغوي لكلمة سيمياء اصطلاحاً او اشتقاقاً... حيث يذكر بلقاسم نفه ((ان كلمة سيمياء عربية اصلية، مشتقة من الفعل سام

الذي هو مقلوب وسم واصلها وسمى، وزنها عقلي، وهي في الصورة فعلى، يدل على ذلك قولهم: سمة، فأن اصلها : وسمة، ويقولون، سيمى بالقصر، وسيماء بالمد، وسيمياء بزيادة الباء وبالمد، ويقولون: سوم اذا جعل سمة، وكأنهم انما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل الى التخفيف لهذه الاوزان، لان قلب عين الكلمة مئات بخلاف فائها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من سوم المقلوب وانما سمع منهم فعل مضاعف في قولهم : سوم فرسة، اي جعل عليها البسمة، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السيمة والسومة، وهي العلامة)).[٣]

ونجد من المستحسن ان نورد معنى السيمة ووردها في القرآن الكريم بقول تعالى ((**تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**))البقرة ٢٧٣،((**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**)) الاعراف ٤٦، ((**وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**)) الاعراف ٤٨، ((**وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ**)) محمد ٣٠، ((**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**)) **الفتح** ٢٩، ((**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**)) الرحمن ٤١.

ويتضح مما سبق، ان لفظ السيمياء ورد في القرآن الكريم بمعنى العلامة، سواء اكانت متصلة بملامح الوجه أو الهيئة ام الافعال والاخلاق.

وفي لسان العرب ((السومة، والسمة، والسيماء، والسيمياء: العلامة))[٤] ونرانا هنا لا غنى لنا من ان نذكر مثلاً على ورود السيمياء في الشعر، ومنها قول اسيد بن عنقاء الفزاري ((يمدح عميلة حين قاسمه ماله :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا يشق على البصر))[٥]

ونرانا هنا قد تجمعنا على امثلة تؤهلنا للقول بأن مصطلح السيمياء وكان معروفاً ومتداولاً عند العرب بمعنى العلامة.. مشددين بن علي ((اننا لا ندعي ان هذا العلم (اي السيمياء) بصيغته الحالية كان معروفاً، انما ذلك لايتعدى الاشارة الى معرفة العرب للعلامة ووظيفتها))[٦] وهنا تكمن جذور اللفظ الذي تبناه الغرب ونظروا له

وللمصطلح صدى اخرى... فيوسف اسكندر ((يحسب ان جذر كلمة (سيمياء) من المشتركات اللغوية في عدد واسع من اللغات السامية (في الاقل العربية) ولهندواربية (مثل اليونانية واللاتينية) فأصوات هذا الجذر (مع الاحتفاظ بالتقلبات اللازمة في صرف كل لغة) ومكوناته الدلالية في المعجمات، هي متماثلة،الى كبير)).[٧]

ولتوسع في ايراد الاصل العربي للسيمياء ينقل يوسف اسكندر وبشهادة منذورة لاعتقاده

بـ ((العربية قد استساغت هذا الوزن الصرفي فاكثرت من التعريب على وفقه أو من الاشتقاق له، خصوصاً في اسماء العلوم، وليست في العربية كما لاحظنا، اصلاً، صلة بين هذه الوزن الصرفي وبين اسماء العلوم كما هي الحال مع الكيمياء، وفي تعريب الفيزياء، واصطلاحات اخرى مثل الريمياء والهيمياء والليمياء)).[٨]

ولم يغفل الدرس الدلالي العربي في اصوله المبكرة التركيز على ثيمة السياسية تتمثل في ان الشاعر العربي وهو صانع النص كان يلتفت وهو يبحث عن الكلمة المناسبة الى حدود اللفظ بشكل يتيح له الوصول الى تأثير اكبر على المتلقي ((إن الناقد القديم يحدثنا عن ألفاظ الشعر، وعن عبارة الشاعر في نص محدد، ويصف معانيه، وتختلط ههنا مسائل فرعية عدة، إذ تمتزج الاغراض والفنون بالفكرة التي يحملها بيت واحد او جزء من هذا البيت الشعري، وكذلك يتداخل الايقاع الصوتي للكلمات والحروف بخفتها او ثقلها وزناً صرفياً، وقد يكون لتحليل المفردات ثم الافادة من ثمرة هذا التحليل اثار كبيرة في توجيه الاحكام، ذلك ان معرفة حدود اللفظة ودلالتها تجعلنا نقدر اختيار الشاعر لها)).[٩]

تجد الاشارة الى ان ((مصطلح سيمياء يقابل سيميولوجيا، وكلمة سيميولوجيا منقولة من اللغة الانكليزية، يعبر عنها بمصطلحين، هما (Semiologie) و ([١٠])(((Semiotique "وأصل كلمة سيميولوجيا يوناني وهي مركبة من Semeien بمعنى علامة و Logos بمعنى خطاب)).[١١]

وحرى بنا في هذا المقام ان نشير الى مقالة عواد علي خضير التي ثبت فيه ((ان سوسير هو الذي اقترح تسمية السيميولوجيا.. في كتاب (دورس في عالم اللغة العام)، فيقول سوسير في الفصل من كتابه وهو بعنوان (هدف علم اللغة): (اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن الافكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، او الالفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، او الطقوس الرمزية، واو الصيغ المهذبة، او العلامات العسكرية أو غيرها من الانظمة ولكنه اهمها جميعاً ويمكننا ان نتصور علماً موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم العلامات Semiology وهي لفظة مشتقة من كلمة الاغريقية Semeion = العلامة) لذلك سوسير يحدد علاقة اللغة بهذا العلم بأنها جزء منه، والقواعد[١٢] التي يكتشفها يمكن تطبيقها على علم اللغة في حين ((اقترح ابيرس الكلمة ((Semiontique –علم العلامات)) والتي الفيلسوف الالماني لا مبيرت يستعملها من قبل في القرن الثامن عشر بوصفها مرادفاً لكلمة " Logique " منطق وقد كان يجب على المنطق، تبعاً لبيرس. "كيف" يعقل الانسان، ومادام هذا هكذا، فقد كانت البراهين، في الفرضية الاساسية لنظرية بيرس، عند طريق العلامات. فالعلامات تسمح لنا ان تفكر، وان تتواصل مع الاخر، وان نعطي

معنى لما يقترحه الكون علينا. وإننا لنمتلك تنوعاً كبيراً من العلامات الممكنة، وتكون العلامات اللسانية من بينها فئة مهمة، ولكنها فئة وحيدة. وان بيرس، اذ أنشا نظريته العلاماتية، فقد كرس نفسه لعمل العلامات عموماً. وقد اعطى مكاناً مهماً، ولكن ليس المكان الاول، للعلامات اللسانية. وما كان يعني بالنسبة الى العلامات عموماً كان يعني بالنسبة الى العلامات اللسانية، وليس العكس)).[١٣]

ونود ان نشير هنا الى ان مجموعة الاشارات والملاحظات التي توفر امامنا عن الطبيعة العامة للسيمياء يمكن ان تقودنا الى مجموعة من التعريفات التي يمكن ان تساعدنا فيما بعد في تتبع البنى الدلالية في نص الحرية لخزعل الماجدي فالسيمياء هي حسب تعريف بير جيرد ((علم يدرس انساقٍ الاشارات، لغات انماط اشارات المرور الى آخره وهذا التعريف يجعل اللغة جزءاً من العلامة)).[١٤]

في حين يعرف ((بنكراد السيميائية بأنها دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ويقول بأنها تدريب اللعين على النقاط الضمني والمتواري والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق او التعبير عن مكنونات المتن)).[١٥]

وعلى هذا الاساس فأن الدرس الدلالي الذي يصلح ككشاف يجعلنا قادرين على دراسة النصوص المختلفة ومهما كان نوعها تحت ضوءه وفي نفس الوقت تتبع قدرتها على اطلاق الدلالات،يوفر لنا مجموعة من الاطر النظرية التي تمثل فيما بعد أدوات ذات طابع وظيفي لتفحص اي نص، فالسيمياء هي دراسة الاشارات والشفرات التي هي في النهاية انظمة دقيقة تمكن الانسان من فهم الذي يعرفه بارت على انه حيوان رمزي في فهم الاحداث بوصفها علامات تستهدفه لانتاج علامات محملة بمجموعة مختلفة من المعاني التي تتباين في درجة قدرتها على الوصول الى الفعل المستهدف بالخطاب بحسب مجموعة من الضوابط الاجتماعية المعرفية.

وعليه فإن لغة العرب حالها كحال لغات العالم ينطبق عليها ما ينطبق على بقية اللغات إلا أن الفارق الذي نزعمه " انها تحوي كل لغات العالم ولا تستطيع أي لغة احتواء العربية " والسبب بسيط جدا هو حجم المفردات وكثرة المترادفات للفظ الواحد الامر الذي لا نجده في الانكليزية او الفرنسية او ... فمصطلحات تلك اللغات محددة ودلالاتها معروفة

والسِّيمَاء والسِّيمِيَاء، بياء زائدة: لفظان مترادفان لمعنى واحد، كما سيأتي بيانه. لكنا اخترنا عنونة هذا البحث بجملة مقارنة بين سيمياء الغرب والعرب ومعرفة من هو الاسبق في معالجة اللفظ.

فالسيمياء عربي لأنه انطلق من اللفظ القرآني أساسا. فقد ورد في كتاب الله، لكن مقصورا غير ممدود، أي بلا همز هكذا: (سِيمَى). قال تعالى: **(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)**(الفتح:٢٩). وقال سبحانه: **(تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُم)**(البقرة:٢٧٣). إذ هو يقصر ويمد. لكنا قد نستعمل أحدهما بدل الآخر على سبيل الترادف اللغوي والمفهومي، في السياق العام من هذه الدراسة. وفي مثل هذا قيل: "لا مشاحة في الاصطلاح". ولكن السؤال الملح لماذا التنظير غربي والجذر المصطلحي هو جزء من موروث العرب وهذا يعيدنا للدراسات الاستشراقية التي استكنهت ثقافة وموروث العرب.

وما دام الإنسان من حيث هو كائن وجودي له سيماؤه الخاصة. وداخل هذا المفهوم (للإنسان) نجد المرأة كالرجل، لها نفس وصورة، ولكل منهما سيماء خاصة! و للإسلام تصوير متميز لسيماء النفس، ولسيماء الصورة. وذلك ما أحببنا أن نعرض من خلاله قضية المرأة في الإسلام. لكن لابد قبل ذلك من بيان المفهوم الخاص بمصطلح السيماء، في التراث اللغوي العربي والإسلامي، الذي نصوغ من خلاله قضايا هذه الورقة. ولن نُعْنىَ بالسيمياء في الاصطلاح اللساني الغربي الحديث، فذلك مجال آخر. وهو – علاوة على أننا لسنا مؤهلين للبحث فيه نظريا – ليس قصد هذا البحث أصالة، وإن كانت تربط بيننا وبينه صلة ما تبعا، هي صلة (العلامة) من حيث المفهوم الوجودي العام. ولذلك فسنبقى بعيدين عنه، قريبين منه؛ بما نمارسه من تطبيقات للنصوص الشرعية، في بيان دلالة المرأة الرمزية في الإسلام، على المستوى النفسي والجسمي.

ويرجع لفظ السيماء أو السيمياء في اللغة العربية إلى معنى العلامة، أو الرمز، الموضوع للتخاطب قصدا. وهو يستعمل – كما ذكرت – بياء مفتوحة وممدودة بعد الميم المكسورة، فينطق (سِيمِيَاء)، ويستعمل بدونها فينطق (سِيمَاء)، وكلاهما في المعنى رديف صاحبه. يقول ابن فارس في مادة (وسم): (الواو والسين والميم: أَصْلٌ واحدٌ، يدل على أَثَرٍ ومَعْلَمٍ. ووَسَمْتُ الشيءَ وَسْماً: أَثَّرْتُ فيه بِسِمَة. والوَسْمَى: أول المطر؛ لأنه يَسِمُ الأرضَ بالنبات (...) وسمي مَوْسِمُ الحج موسما؛ لأنه مَعْلَمٌ يجتمع إليه الناس. وفلان مَوْسُومٌ بالخير. وفلانة ذات مِيسَمٍ: إذا كان عليها أثر الجمال. والوَسَامَةُ: الجمال (...) وقوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ" (الحجر:٧٥): الناظرين في السِّمَةِ الدَّالَّة.)([١٦]) وقال الراغب الأصفهاني: (السيماء والسيمياء: العلامة. قال الشاعر:

" له سِيمِيَاءٌ لا تشق على البصر "

وقال تعالى: "سيماهم في وجوههم من أثر السجود"(الفتح:٢٩)، وقد سَوَّمْتُه أي: أعلمته. وقوله عز وجل في الملائكة: "مُسَوَّمين" (آل عمران:١٢٥)، أي: معلَّمين. و"مسوِّمين" معلِّمين لأنفسهم، أو لخيولهم، أو مُرسِلين لها، وروي عنه عليه السلام أنه قال: "تَسَوَّمُوا فإن الملائكة قد تَسَوَّمَتْ") .([١٧])

وجاء في مختار الصحاح: (السَّوْمَةُ بالضم: العلامة تجعل على الشاة، وفي الحرب أيضا. تقول منه تَسَوَّمَ. وفي الحديث "تسوموا فإن الملائكة قد تسومت". والخيلُ المُسَوَّمةُ: المرعية، والمسَوَّمَةُ أيضا: المعلَّمَةُ. وقوله تعالى: "مسوِّمين" قال الأخفش: يكون معلِّمين، ويكون مرسِلين، من قولك: سَوَّمَ فيها الخيل أي أرسلها. ومنه السَّائِمةُ (...) وقوله تعالى: "حجارةً من طين مسوَّمةً": أي عليها أمثال الخواتيم. والسِّيمَى مقصور من الواو، قال الله تعالى: "سيماهم في وجوههم" وقد يجيء السِّيمَاءُ و السِّيمِيَاءُ ممدودين([١٨])(

وقال ابن منظور: (السُّومَةُ والسِّيمةُ والسِّيماء والسِّيمِيَاءُ: العلامة. وسَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيمة. وقوله عز وجل: "حجارةً من طينٍ مُسَوَّمَةً عند ربك للمُسْرفين"(الذاريات:٣٤): قال الزجاج: روي عن الحسن أَنها مُعَلَّمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مُسَوَّمة بعلامة يعلم بها أَنها ليست من حجارة الدنيا، ويعلم بسيماها أَنها مما عَذَّبَ اللهُ بها. [قال] الجوهري: مُسَوَّمة أَي عليها أَمثال الخواتيم (...) قال أَبو بكر: قولهم عليه سِيما حَسَنَةٌ معناه علامة، وهي مأخوذة من وَسَمْتُ أَسِمُ، قال: والأَصل في سيما وِسْمَى، فحُوِّلت الواو من موضع الفاء، فوضعت في موضع العين، كما قالوا ما أَطْيَبَهُ وأَيْطَبَه، فصار سِوْمى، وجعلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (...) وقيل: الخيل المُسَوَّمة: هي التي عليها السِّيما والسُّومةُ، وهي العلامة. وقال ابن الأَعرابي: السِّيَمُ: العلاماتُ على صُوف الغنم([١٩])(

وفي القاموس: (السِّيمَةُ والسِّيمَاءُ والسِّيمِيَاءُ، بكسرِهِنَّ: العَلامَةُ. وسَوَّمَ الفَرَسَ تَسْوِيماً: جَعَلَ عليه سِيمَةً.([٢٠]).

والخلاصة: أن السِّيمِيَاء في اللغة، أو السِّيمَاء: هي العلامة، أو الرمز الدال على معنى مقصود؛ لربط تواصل ما. فهي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر. فلا صدفة فيها ولا اعتباط. وهو ما عرفه العرب قبل الغرب كما نؤكد ذلك بالادلة.

تلك هي الدلالة اللغوية إذن. ومن هنا كان كل موجود –في المنظومة الإسلامية –له سيمياء وجودية، أي أنه علامة في ذاته. علامة على معنى يدل عليه وجوده، وتلك حكمته الخَلْقية، ومعناه التكويني، وغايته الوظيفية، من حيث كينونته ومصيره. وهو قول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ. بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ

عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (الأنبياء:١٦-١٨)، وقوله سبحانه: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(الأنعام:٣٨). والإنسان ترجع سيمياؤه إلى قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)(البقرة:٣٠). وقوله عز وجل: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(الأحزاب:٧٢). فهو إذن رمز الخلافة التعبدية لله الواحد القهار، حامل أمانة التكليف الرسالي في الإسلام.

إلا أن السيمياء الإنسانية في القرآن تتفرع – داخليا – على حسب جنس الإنسان من ذكورة وأنوثة، لكن في إطار السيمياء الكلية التي بيناها آنفا. فكان للرجل سيمياء خاصة، وكان للمرأة سيمياء أخرى خاصة، وكلاهما مندرج في السيمياء الإنسانية الكبرى. وورقتنا هذه خاصة بسيمياء المرأة في الإسلام. أي خواصها الرمزية والدلالية في الوجود، وعلاماتها الوظيفية في الكون نفسا وصورة فما هو دور الدراسات التنظيرية العربية في ارساء دعائم النظرية التي جاء بها الغرب؟

المبحث الثاني

اشكالية المرأة وسيمياء النفس

ما حد المرأة؟

سؤال نضعه اليوم . على منهجنا الجديد . في بحث الحقائق التي يسميها الناس (بدهيات)، والعود إلى تحقيق مفاهيم (المسلَّمَات) التي رسخت في ذاكرة المجتمع الإنساني كذلك. ومشروعنا هذا قائم على مراجعة هذه البدهيات، التي تبين لنا أنها تحمل كثيرا من الأسرار التي يغطيها عنا الإلف الوجودي وعادة الحياة. نسأل: (ما) المرأة؟ لنجيب الجواب البدهي أيضا بأن المرأة هي أنثى الإنسان.

(أنثى الإنسان).. وتلك ضميمة اصطلاحية تضرب في عمق الغيب! وإنما الإنسان كل الإنسان (نفس). و(النفس) هي أساس الخلق البشري، كما هو نص القرآن الكريم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١). (النفس الواحدة) إذن هي أساس الخلق، التي منها خلق الإنسان، كل الإنسان: ذكرانا وإناثا. والعجيب، الجدير بالتدبر والتأمل؛ أن مرجع آدم إلى (النفس الواحدة) مساوٍ لمرجع زوجه حواء. فهما في ذلك سواء. فالنفس مرجع كل منهما، وكل من كان من ذريتهما إلى يوم القيامة. وقصة خلق حواء من ضلع آدم كما هو مدلول الحديث النبوي الصحيح([٢١]) دالة – في نهاية المطاف – على الوحدة المصدرية نفسا وبدنا. فهما في ذلك سواء!

وتدبر الآية مرة أخرى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً)**.

النفس الواحدة:

تلك النفس، التي ذكرها الله جل علاه في غير ما موضع من القرآن العظيم، التي لا تحمل في الأصل صفة جنسية، لا ذكورة ولا أنوثة. وهذا أمر عجيب حقا. فلا الرجل ولا المرأة يمكنه أن يزعم أنه الأصل. وكون آدم – عليه السلام – أسبق في الخلق لا يعنى أنه الأصل. فهو الأصل بالمعنى الزمني، وليس الأصل بالمعنى الوجودي، ولا كذلك حواء. وليس الأمر كما زعم بعضهم أن المرأة فرع عن الرجل، ولا أن الرجل فرع عن المرأة، كما جاء عند صاحبة كتاب (الأنثى هي الأصل)([٢٢])! وإنما هي النفس التي لا تحمل أي سيماء جنسية. إنها (نفس واحدة) على حد تعبير القرآن كما رأيت: (مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ). وفي هذا من التساوي الوجودي ما فيه. وأما التأنيث الوارد في صيغتها فإنما هو على عادة الاستعمال اللغوي العربي، ليس إلا. على نحو ما تقصده العرب في صيغها الصرفية، التي قد تؤنث وتذكر؛ لغير أنوثة جنسية ولا ذكورة. كما في تأنيثهم الشمس وتذكيرهم القمر. والقرآن نزل بلغة العرب. قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)(الأعراف:١٨٩). وتدبر قوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(الزمر:٦).

النفس إذن؛ هي جوهر كينونة الإنسان، ذكرا كان أو أنثى. ومن هنا سَوَّى الله بين الجنسين في عموم التكليف إلا ما استثناه الدليل لخصوص المحل. أما الأصل التكليفي فهو قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْض)(آل عمران:١٩٥). فهذه الآية نص – باصطلاح الأصوليين – في تساوي التكليف الإلهي للإنسان، من حيث المبدأ الكلي، بغض النظر عن الفروق الجنسية العارضة من ذكورة وأنوثة. وإنما الصفة التي ينظر إليه بها ههنا هي كونه (عاملا) أم لا؟

فالإنسان له صورتان: الأولى نفسانية، والثانية جسمانية. ولكل صورة سيماء أو سيمياء. أي علامات ومواصفات منها تتشكل ما نسميه بـ(الشخصية). تماما كما تتميز كل صورة جسمانية بعلامات فارقة، هي سيماء ذلك الشخص المميزة له.

ألم يك هذا من البديهيات عند الباحثين فالعلامة وعلمها عربي وفقا لذلك سرعان ما تلقفه الغرب لبجعلوا منه قضية كبيرة هم من ابتكرها حسب زعمهم علما ان المصطلح بجذور عربية خالصة.فالنفس مفارقة للجسم. وكينونتها هي على صورة نفسانية. قال عز وجل: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)**(الشمس:٧). فالتسوية هي تمام الخلق. ولهذا قال بعد مباشرة في السياق: **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)**. ويؤيد هذا التفسير من القرآن والسنة: أولا قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)**(الأعراف:١٧٢-١٧٣).

ومن هنا قول ابن تيمية: (فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالالهية؛ محبةً له، تعبده لا تشرك به شيئا. ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن، بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل. قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا"... الآية)(.[٢٣]

ثانيا: قول الرسولﷺ في الحديث الصحيح: (لما خلق الله آدم مسح ظهره؛ فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال:أي رب! من هؤلاء؟قال:هؤلاء ذريتك! فرأى رجلا منهم أعجبه نور ما بين عينيه، فقال :أي رب! من هذا؟قال:رجل من ذريتك في آخر الأمم يقال له داود، قال:أي رب كم عمره؟قال: ستون سنة، قال:فزده من عمري أربعين سنة!قال:إذن؛ يكتب ويختم، ولا يبدل! فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت، فقال[يعني آدم]:أوَ لم يبق من عمري أربعون سنة؟قال:أوَ لم تعطها ابنَك داود؟[وجَحَد آدمُ] فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته!)(.[٢٤]

فالحديث دال على أن الله خاطب الأنفس، وهي آنئذ لا تزال في عالم الذَّرِّ، أي نسمات في صلب آدم عليه السلام. وذلك قولهﷺ في النص: (فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة). فاسم الفاعل (خالقها) دال في هذا السياق على الاستقبال. كأنه قال: (سيخلقها)، والمقصود بالخلق هنا الخلق النهائي بخلق النفس في الجسم. لأن النفس آنئذ لا تزال في عالم الذر نسمةً. كما أنه دال على أن لها صورة نفسانية لا جسمية. ودليله من النص قوله: (ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال:أي رب! من هؤلاء؟قال:هؤلاء ذريتك! فرأى رجلا منهم أعجبه نور ما بين عينيه، فقال:أي رب! من هذا؟...إلخ) فما كان ذلك ليكون؛ لو لم تكن

الأنفس صورا أظهرها الله تعالى لآدم – عليه السلام – فأراه إياها بما شاء وكما شاء. فدل ذلك كله على وجود النفس مستقلة عن البدن، ودل أيضا على أن لها صورة غير جسمانية، ذات سيماء خاصة.

ومن النصوص العجيبة الدالة على ذلك أيضا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (كنت نبيا وآدم بين الروح و الجسد!)([٢٥]) وقولهﷺ: (إن النفس المخلوقة لكائنة)(.([٢٦]

وقد نجم عن هذه النصوص إشكال بين علماء الإسلام فيمَ خُلِقَ أولا: النفس أم البدن؟ وذلك نظرا لما دلت عليه ظواهرها من مخاطبة الأنفس في استقلال عن الأبدان، ومن إبصار بعضها لبعض في عالم الأرواح. وهذا خلاف نقله الإمام الرباني ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى. قال في شفاء العليل: (وكذلك في خلق الأرواح قبل الأجساد قولان معروفان)(.([٢٧]فقد كان شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى من أبرز القائلين بسبق الجسم على النفس. بينما كان قبله الإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي من القائلين بسبق النفس على البدن؛ انسجاما مع ظاهريته. وذلك ما نقله ابن القيم مفصلا في كتاب الروح قال: (وقالت طائفة أخرى منهم ابن حزم مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها. وقال: والذي نقول به في مستقر الأرواح، هو ما قاله الله عز وجل ونبيهﷺ، لا نتعداه. فهو البرهان الواضح، وهو أن الله عز وجل قال: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين". وقال تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"(الأعراف:١١). فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر أن "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"([٢٨]) وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية، وهي مخلوقة مصورة عاقلة، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها في الأجساد. والأجساد يومئذ تراب وماء! ثم أقرها حيث شاء. وهو البرزخ، الذي ترجع إليه عند الموت. ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة، فينفخها في الأجساد المتولدة من المني. إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأغراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة، فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها، فيرجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول اللهﷺ ليلةَ أسري به عند سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره. وذلك عند منقطع العناصر، ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة. قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه، قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال ابن حزم: وهو قول جميع أهل الإسلام)(.([٢٩])

إلا أن ابن القيم رد ذلك كله، وذهب إلى ما ذهب إليه أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال في كتابه القيم "أحكام أهل الذمة" :(والذين قالوا إن الأرواح خلقت قبل الأجساد ليس معهم نص من كتاب الله ولا سنة رسوله. وغاية ما معهم قوله: "وإذ أخذ ربك من بني آدم" الآية. وقد عُلِم أنها لا تدل على ذلك. وأما الأحاديث التي فيها أنه أخرجهم مثل الذر؛ فهذا هل هو أشباحهم أو أمثالهم؟ فيه قولان. وليس فيها صريح بأنها أرواحهم. والذي دل عليه القرآن والسنة والاعتبار أن الأرواح إنما خلقت مع الأجساد، أو بعدها. فإن الله سبحانه خلق جسد آدم قبل روحه، فلما سواه وأكمل خلقه نفخ فيه من روحه، فكان تعلق الروح به بعد خلق جسده. وكذلك سنته سبحانه في خلق أولاده، كما دل عليه حديث عبد الله بن مسعود المتفق على صحته. قال: "سمعت رسول الله يقول: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم ينفخ فيه الروح"(٣٠). وقد غلط بعض الناس حيث ظن أن نفخ الروح إرسال الروح وبعثها إليه، وأنها كانت موجودة قبل ذلك، ونفخها تعلقها به. وليس ذلك مراد الحديث! بل إذا تكامل خلق الجنين أرسل الله إليه الملك، فنفخ فيه نفخة فتحدث الروح بتلك النفخة، فحينئذ حدثت له الروح بواسطة النفخة!)(٣١)

إلا أن المتحصل من ذلك كله، والذي عليه العمل في ورقتنا هذه؛ أنه لا خلاف بين المذهبين في أن النفس أو الروح مخلوقة، سواء كان ذلك قبل البدن أو بعده أو معه. وأنه لا يقول بقدمها إلا أصحاب المقالات الإلحادية. وأنها جوهر كينونة الإنسان، وأنها مفارقة للبدن. وأنها محل الوعي الإنساني. فالوجود البرزخي إذن؛ إنما هو وجود نفساني؛ لأن الجسم يأكله التراب، لكنه وجود عاقل واع. قال عز وجل: **(حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)**(المؤمنون:٩٩-١٠٠)، وفي الحديث: عن أنس بن مالك (أن رسول اللهﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا. ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال "يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا" فسمع عمر قول النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا؟ قال "والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا" ثم أمر بهم فسحبوا. فألقوا في قليب بدر)(٣٢). وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما؛ أنَّ رسولَ اللهﷺ مرّ بقبرين فقال: (إنَّهُما يُعَذَّبانِ ومَا يُعَذَّبانِ في كَبير" قال: وفي رواية البخاري: "بلى إنَّه كَبيرٌ، أمَّا أحَدُهُما فَكانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ، وأما الآخَرُ فَكانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِه).(٣٣)

ومن النصوص الدالة على السيماء الخاصة بالنفس الإنسانية، بمعزل عن البدن، هذا الحديث العجيب، الذي يصور حركة النفس بعد مفارقة الجسد بالموت مباشرة. قال :ﷺ(إن الميت

تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحا قال :اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب! اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان! فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال:من هذا ؟فيقول :فلان فيقال :مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب! ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان! فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله تبارك و تعالى. فإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث! اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق! وآخر من شكله أزواج! فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال:من هذا؟فيقال:فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث! ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء! فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر؛ فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع، ولا مشعوف، ثم يقال له:فيم كنت؟فيقول:كنت في الإسلام، فيقال له:ما هذا الرجل؟فيقول:محمد رسول اللهﷺ جاءنا بالبينات من عند الله، فصدقناه، فيقال له:هل رأيت الله؟فيقول:ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبَلَ النار، فينظر إليها، يحطم بعضها بعضا، فيقال له:انظر إلى ما وقاك الله تعالى! ثم يفرج له فرجة قِبَلَ الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له:هذا مقعدك! ويقال له:على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله؛ و يجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا! فيقال له:فيم كنت؟فيقول: لا أدري! فيقال له:ما هذا الرجل؟فيقول:سمعت الناس يقولون قولا فقلته!فيفرج له فرجة قِبَلَ الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له:انظر إلى ما صرف الله عنك! ثم يفرج له فرجة إلى النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا! فيقال:هذا مقعدك! على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله![٣٤]

فالوجود البرزخي إذن هو وجود نفساني واع، وإنما البدن في الإنسان لباس طيني فان!

ومن هنا فإنما خاطب الخالق جل وعلا الإنسان باعتباره (نفسا) على سبيل الاشتراك. أي بلا تمييز جنسي في الأصل. سواء كان الخطاب متعلقا بالتكوين أو كان متعلقا بالتكليف. قال تعالى مثلا: **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**(يوسف:٥٣). وقال سبحانه: **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)**(الفجر:٢٧-٣٠) وقال أيضا: **(وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)**(البقرة:٤٨) وقال أيضا: **(لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا)**(البقرة: ٢٣٣) وقال سبحانه: **(وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)**(البقرة:٢٨١) وقال أيضا: **(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا**

كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(آل عمرن:٢٥)، وقال أيضا: **(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**(آل عمران: ١٨٥)

وقال أيضا: **(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(النحل:١١١) وقال أيضا: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**(غافر:١٧) وقال أيضا: **(وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)**(ق:٢١-٢٢) وقال أيضا: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**(الحشر:١٨) وقال أيضا: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**(الشمس:٧-١٠).

فهذه النصوص الكثيرة، كلها دالة على أن النفس الإنسانية جوهر، وأنها هي محل الخطاب الإلهي. ومن هنا فالنفس هذه هي التي عُنِيَ الإسلام بتزيينها وتجميلها. ولذلك فرض الستر على المرأة؛ حتى لا تطغى سيماء الصورة على سيماء النفس، التي هي السيمياء الحقيقية، والتي هي أساس التميز في الإسلام. فالسيمياء الجسمانية لدى المرأة ذات خصوص جمالي يؤدي وظيفة تناسلية بالقصد الأول ووظيفة شهوانية بالقصد الثاني. فالقصد الأول قصد أصيل، فهو يخدم إحدى الضروريات الخمس في مقاصد الشريعة، على ما بينه علماء المقاصد، ألا وهي (ضرورة النسل)([٣٥]). فزُيِّنَت الأنثى خَلْقا وتكوينا؛ حتى ينجذب الرجل إليها؛ فيكون ضمان استمرار النسل، كما مر في قوله تعالى من سورة النساء (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء)، وكما مر أيضا من سورة الأعراف: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ). ذلك هو الأصل الوجودي لجمال المرأة، والقصد الأصلي منه. نعم له قصد تبعي أو تابع وهو التزيين الشهواني المباح. وهو الوارد في قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)(آل عمران:١٤). فهذا التزيين طبيعي، أي بمعنى فطري. فالرجل مجبول على الانجذاب إلى الجمال الأنثوي، لكن لخدمة القصد الأصيل من النسل. وليس ذلك مقصودا لذاته؛ ولذلك جعل الله عقب الآية ما يلي: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(آل عمران:١٥) ومشكلة الإنسان اليوم – ذُكْرانا وإناثا – أنه قلب الموازين! فجعل المقصود التبعي أصليا، والأصلي تبعيا؛ فانقلبت بذلك حقائق الحياة عنده، من الإنسانية الراقية إلى البَهَمِيَّة الساقطة، ومن المتعة الروحية إلى اللذة الشهوانية!

ولذلك كان اللباس الإسلامي بالنسبة للرجال والنساء معا؛ قائما على خدمة هذه المقاصد الكلية العظيمة في الدين، وعلى احترام الوجود الإنساني، وعدم الإسفاف به، أو السقوط به إلى دركات العيش الحيواني الصرف! فستْرُ الصورة الجسمانية للأنثى – لما لها من خصوص تكويني – كان ليخدم قصده الأصلي ولا يتعداه إلى غيره إلا تبعا، في حدود جمالية المباح.. ومن هنا قال الرسولﷺ: (إِنّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىَ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىَ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)([٣٦]). وعلى هذا المساق يفهم حديث النبيﷺ في زاهر بن حرام الأشجعي رضي الله عنه – وقد كان رسول اللهﷺ يحبه، وكان رجلا بدويا ذميم الصورة! – إذ قال له في قصة طريفة: (ولكن أنت عند الله غال!)([٣٧]). نعم! لقد كان عند الله كذلك؛ لما كان له من جمال النفس الذي غطى ذمامة الصورة، وأفاض عليها أنوار القبول، في الأرض وفي السماء!

إن لباس المرأة في الإسلام ليس أحكاما شكلية فحسب، على ما يعتقده بعضهم. كلا! إن اللباس مضمون جوهري يضرب في عمق الغيب! إنه بعد وجودي! يرتبط بالطبيعة الوجودية للمرأة من حيث هي إنسان.

لقد انطلق الخطاب القرآني للمرأة من مبدأ الخطاب الكلي للإنسان، منذ كان خطاب الوجود الأول للنفس الإنسانية! وذلك قول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف:١٧٢) فكان هذا التكليف الكوني العجيب: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(الأحزاب:٧٢). لقد جاء هذا التكليف في سياق خطاب كوني، وُجِّهَ للسماوات والأرض وما بينهما، فتَصَدَّر الإنسان بما فطر عليه من مؤهلات؛ ليكون إمام العابدين لله الواحد القهار، وليكون سيد السائرين إليه تعالى في الأرض وفي السماء. وليس بعيدا عن هذا القصد أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم، أول الخليقة من النفس الإنسانية. وهو يحمل في صلبه ذريته ذكرانا وإناثا.

ومن هنا خاطب المولى جل جلاله المرأة في القرآن باعتبارها (عاملا)، على سبيل التسوية المطلقة بين الرجل والمرأة في المسؤولية الوجودية من حمل الأمانة الكبرى، كما مر في قوله تعالى:)فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْض)(آل عمران:١٩٥.(

وأما ما خالفت المرأة الرجل فيه من أحكام؛ فذلك راجع إلى الطبيعة التكاملية بين الذكورة والأنوثة، وليس إلى تنقيص خلقي تكويني في طبيعتها. فقد ينقص الرجل في شيء لتكمله المرأة، وقد تنقص المرأة في شيء ليكمله الرجل؛ سعيا لتكوين الحاجة الفطرية الطبيعية بينهما ورغبة في دوام الالتقاء وضمان استمرار الحياة(.[٣٨]

إن تشريع اللباس الإسلامي إنما كان – مذ كان – في هذا السياق الكوني العظيم. فليس فيه إذن شكليات وهامشيات. إنه جوهر من جواهر الحياة، وعمق من أعماق الوجود الإنساني في الخطاب القرآني! إنه سيماء لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض. قال عز وجل: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)(هود:٦١). ومن ثَمَّ كان ذلك أول قصد إبليس بالتدمير والتخريب في المجتمع الإنساني الأول! فاقرأ وتدبر هذه الآية العجيبة! قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا. وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف:٢٦).

ذلك سر عجيب من أسرار اللباس في القرآن. فتدبر!

والمرأة إذ تكشف عن أطرافها، ومفاتنها الجسمانية بتسيب شهواني؛ فإنما معناه أنها تبرز التمثال على حساب الطبيعة، وتمجد الفخار على حساب الروح! وتفر من تزيين حقيقة النفس إلى تزيين غلافها الخارجي فقط! فتخرج عن طبيعة الوجود البشري الذي قام على المفهوم النفسي في القرآن كما تبين، وتتنصل عن ماهيتها الوجودية ووظيفتها الكونية.

ومن تلك الادلة نستطيع القول " إذا كانت السيميائية بمفهومها الحالي من نتاج العقل الغربي فأنا ازعم أن العرب هم الاولى بالتنظير لها وتبنيها ونشرها بكل تفصيلاتها وما التنظيرات الغربية إلا ادعاءات باطلة والسيمياء كعلم للعلامات ذات منشيء عربي .

الخاتمة

إن معرفة السيميائية، تساهم في فتح أفاق جديدة في البحث أمام الفكر، وتنمية حسه النقدي، وتوسيع دائرة اهتماماته، بصورة تجعله ينظر إلى الظاهرة الأدبية، أو الاجتماعية بعمق، فلا يقنع بما هو سطحي، ولا يقتصر على الأحكام المجانية التي تعودنا عليها، لأنها لا تسد الرغبة الملحة في المعرفة،ولا يكتفي بنتيجة علمية، إلا بعد التحقيق من سلامة فرضيتها، وصحة التفكير الذي أفضى إليها.

مع العلم الطريقة المنهجية التي يقترحها التحليل السيميائي للخطاب السردي، تقوم على " إقامة نماذج منطقية، تحكم البناء الشكلي للمسار السردي ولانبثاق الدلالة، إن هذه النماذج تمثل أطر هيكلية مفرغة، يتم استنباطها من المدونة المدروسة، في شكل انساق تنتظم على أساسها مختلف التجسيدات، ذات الطبيعة السردية أو المتعلقة بالشخوص، أو الخاصة بالقيم المرجعية، التي تسند عليها الخطابات السردية ".

والخطاب السردي كغيره من الخطابات، يستند إلى السيرورة السيميائية للعلامة المتمظهرة في فعل المتواصل – الألفاظ المشكلة للغة – حيث أن الألفاظ في التركيب، تجرى مجرى العلامات والسمات، لاسيما وأن العلامة تستعمل بغية نقل المعلومات من أجل القول أو الإشارة إلى شيء ما. "ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء، ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه".

قائمة المصادر والمراجع

١- احمد، يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، (الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، ج١)، المغرب، ٢٠٠٥، ص١٣٣.
٢- بلقاسم دفة،علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، محاضرات المتلقي الوطني الاول، السيمياء والنص الادبي، (جامعة محمد خضير، بسكرة)، ٢٠٠٠، ص٣٣.
٣- د. فايز، الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأريخية، تأصيلية، نقدية، (دار الفكر، دمشق)، ١٩٩٦، ص٣١.
٤- شفاء العليل لابن القيم، دار السعادة ، الاردن ، ١٩٩٢.
٥- الروح لابن القيم ، دار الاعلمي ، لبنان ، ١٩٩٣.
٦- عواد، علي خضير، التحليل السيميائي للعرض المسرحي الحديث، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٨٩، ص٣٢، ص٣٣.
٧- منذر، عياشي، العلاماتية وعلم النص، (المركز الثقافي العربي، المغرب)، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٣، ص٣٤.

٨- محمود، حسن الاستاذ، استراتيجية مقترحة في تنمية تجليات ابداعية وفضاءات دلالية، (فلسطين، جامعة الاقصى، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ٢٠٠٧)، ص١٢.

٩- ميرنو، ايكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة : سعيد بنكراد راجع النص : سعيد الغانمي، (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١)، ٢٠٠٧، ص٣٣.

١٠- الموافقات للشاطبي، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٣.

١١- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار المعارف، ص٢١٥٨.

١٢- د. يوسف، اسكندر، السيمياء : مدخل فسيلولوجي (محاضرات في السيمياء العامة)، مجلة اقلام العدد السادس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٥، ص١٦.

الهوامش

(١) اميرنو، ايكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة : سعيد بنكراد راجع النص : سعيد الغانمي، (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١)، ٢٠٠٧، ص٣٣.

(٢) احمد، يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، (الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، ج١)، المغرب، ٢٠٠٥، ص١٣٣.

(٣) بلقاسم دفة،علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، محاضرات المتلقي الوطني الاول، السيمياء والنص الادبي، (جامعة محمد خضير، بسكرة)، ٢٠٠٠، ص٣٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار المعارف، ص٢١٥٨.

(٥) بلقاسم، دفه، علم السيمياء والعنوان في النص الادبي، محاضرات الملتقي الوطني الادل السيمياء والنص الادبي، (جامعة محمد خضير، سكرة) ٢٠٠٠، ص٣٤.

(٦) شلواي عمار، المصدر السابق نفسه، ص١٦.

(٧) د. يوسف، اسكندر، السيمياء : مدخل فسيلولوجي (محاضرات في السيمياء العامة)، مجلة اقلام العدد السادس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٥، ص١٦.

(٨) المصدر السابق نفسه.

(٩) د. فايز، الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأريخية، تأصيلية، نقدية، (دار الفكر، دمشق)، ١٩٩٦، ص٣١.

(١٠) بلقاسم دفة، المصدر السابق نفسه، ص٣٤.

(١١) شلواي عمار، المصدر السابق نفسه، ص١٦.

(١٢) عواد، علي خضير، التحليل السيميائي للعرض المسرحي الحديث، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٨٩، ص٣٢، ص٣٣.

(١٣) منذر، عياشي، العلاماتية وعلم النص، (المركز الثقافي العربي، المغرب)، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٣، ص٣٤.

(١٤) بلقاسم دفة، المصدر السابق نفسه، ص٣٤.

[١٥]) محمود، حسن الاستاذ، استراتيجية مقترحة في تنمية تجليات ابداعية وفضاءات دلالية، (فلسطين، جامعة الاقصى، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، ٢٠٠٧)، ص١٢.

[١٦]) المقاييس: (وسم).

[١٧]) المفردات في: (سام). والحديث الذي أورده الأصفهاني هو عن عمير بن إسحق قال: إن أول ما كان الصوف ليوم بدر. قال رسول اللهﷺ: (تسوموا فإن الملائكة قد تسومت، فهو أول يوم وضع الصوف) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه وابن جرير الطبري في تفسيره: ٨٢/٤. قلت: وهو ضعيف فعمير تابعي وفيه جهالة وقد أرسل الحديث!

[١٨]) مختار الصحاح: (سوم).

[١٩]) اللسان: (سوم).

[٢٠]) القاموس: (سوم)

[٢١]) وهو قولهﷺ: (استوصوا بالنساء خيرا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا)(متفق عليه). وليس الاعوجاج في هذا السياق وصمة ذم كما يظنه بعض العوام، بل هو بيان الطبع العاطفي الجارف للمرأة، وما يعتريه من تقلب وميلان، كما اقتضته حكمة الله في خلق الأنثى؛ لتكون زوجة وأُمّاً تفيض بالحب والحنان. ولذلك جاء في سياق (الاستيصاء بالخير)، ولا يستوصى إلا بمحبوب، فتأمل!

[٢٢]) الدكتورة نوال السعداوي

[٢٣]) مجموع الفتاوى: ١٤/ ٢٩٦.

[٢٤]) رواه الترمذي والحاكم،وصححه الألباني انظر حديث رقم:في صحيح الجامع.

[٢٥]) رواه أبو نعيم في الحليةعن ميسرة الفجر، ورواه ابن سعدعن أبي الجدعاء، وابن حبانعن ابن عباس.وصححه الألباني.انظر حديث رقم:في صحيح الجامع.

[٢٦]) رواه الطبرانيعن عبادة بن الصامت مرفوعا. وصححه الألباني.انظر حديث رقم:في صحيح الجامع.

[٢٧]) شفاء العليل لابن القيم:٢٩٤/١.

[٢٨]) رواه البخاري عن عائشة ورواه مسلم عن أبي هريرة.

[٢٩]) الروح لابن القيم:٩١-٩٢.

[٣٠]) هذا مختصر حديث متفق عليه

[٣١]) أحكام أهل الذمة: ١٠٥٨/٢-١٠٥٩.

[٣٢]) متفق عليه

[٣٣]) متفق عليه

[٣٤]) رواه ابن ماجه. وصححه الألباني.انظر حديث رقم:في صحيح الجامع.

[٣٥]) ن. الموافقات للشاطبي: ٢/ ٩ و١٧.

[٣٦]) رواه مسلم.

[٣٧]) عن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبيﷺ الهدية فيجهزه رسول اللهﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول اللهﷺ: "إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه". وكان النبيﷺ يحبه، وكان ذميماً، فأتى النبيﷺ يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبيﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبيﷺ حين عرفه، وجعل النبيﷺ يقول: "من يشتري العبد؟". فقال: يا رسول الله إذاً تجدني كاسداً! فقال النبيﷺ: "لكنك عند الله لست بكاسد". أو قال: "لكن عند الله أنت غال".

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ٦١٦/٩: كتاب البيوع، رقم الحديث: ١٥٩٧٩.

[٣٨]) وعلى هذا الوزان يفهم قول النبيﷺ للنساء: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن) متفق عليه. فليس المراد قطعا الاستهانة بجنس الأنثى كلا! فحاشا رسول اللهﷺ أن يصدر منه شيء من ذلك، والأنثى خلق الله السوي، وصنعه المتقن. وإنما المقصود هو النقص التكاملي، كما بيناه أعلاه، وهو هنا في خصوص هذا الحديث نقص يقابله فيض عاطفي نبيل نقص فيه الرجل، وكذا تفرغ بيولوجي لحمل سر الخلق الإلهي العظيم، وضمان استمرار الحياة! فكانت لها بذلك إجازات في الحيض وفي النفاس؛ لتأدية ذلك الدور الأمومي الذي فاقت به زوجها أضعافا ثلاثة! كما هو واضح في حق الآباء على الأبناء. فتأمل!